انساق الهوية والذاكرة في ليبيا (لحظة الاستقلال) : قراءة تحليلية

د. صالح عثمان أبوالخير
محاضر بقسم التاريخ بجامعة عمر المختار
المنتدب الى مركز البحوث والدراسات جامعة بنغازي
Betra66962@yahoo.com

المستخلص :

بعد الاحتلال الايطالي وخروج الكثير من القيادات الوطنية، كثف الليبيون في المنفي العمل من أجل حرية بلادهم منذ أن دخلت أيطاليا ضد بريطانيا، وشاركوا في العمليات العسكرية في الحرب العالمية الثانية، وبعد أن حطت الحرب أوزارها، أظهر الليبيون براعة فائقة في أستغلال الخلافات بين الدول لضمان حريتهم وأستقلالهم، فواصلوا نضالهم حتي تحقق لهم الاستقلال وفقاً لقرار منظمة الامم المتحدة في نوفمبر 1949، والحقيقة ان ما ميز الليبيون في تلك الفترة هو علاقتهم ببعضهم البعض وعلاقتهم بالاخر، فرغم خلافاتهم الكبيرة الا أننا نستطيع أن نميز نبوغ الليبيون في مسألتين مهمتين ساهمتا في قوتهم وتعاضدهم رغم خلافاتهم، وأكسبتهم قوة ضد كل المخططات التي كانت تستهدف تقسيم ليبيا او إعادتها إلى براثن الاستعمار من جديد، ونقصد هنا: الهوية والذاكرة وكيف تعامل الليبيون معهما بمسؤولية تتناسب مع الظرف التاريخي المهم أنذاك، يحاول هذا البحث مناقشة ديناميات الليبيين في تعاطيهم مع هاتين القضيتين الشائكتين في ظرف من أدق الظروف في التاريخ الليبية، بمعنى: تناول حادثة الاستقلال الليبي في 24 ديسمبر 1951، بوجهة نظر مختلفة وجديدة، تتجاوز التراكم السردي للاحداث وتحاول تحليل الوقائع بطريقة تبحث عن المواقف والظواهر الايجابية التي رافقت هذا الحدث المهم من التاريخ الليبي الحديث.

مـــــــقدمـــــــة :

يمثل الاستقلال الليبي في 24 ديسمبر 1951، لحظة أنتصارٍ وطنيٍ لكل الليبيين، حين نعلم أنه نتج بعد فترة طويلة من النضال الوطني العسكري والسياسي، تخللتها سلسلة طويلة من التضحيات والبطولات، ثم تبعته جهود أخرى كبيرة بذلها الليبيون في سبيل جمع كلمتهم وتوحيد بلادهم وتحقيق استقلالها وحريتها، والحقيقة أن موضوع الاستقلال الليبي كان مادةً للبحث في الكثير من الدراسات في ليبيا وخارجها، ولكن كل هذه الدراسات تناولته من جانبه السياسي، وأهملت الجوانب الاجتماعية والنفسية التي رافقت تلك الفترة، للمجتمع الليبي وفاعليه السياسيين.

حين يتم الحديث عن الاستقلال الليبي، يذهب اغلب المهتمين نحو سردية الاستقلال وما سبقه من نضال سياسي وعسكري بذله الليبيون قبل الوصول الى هذه اللحظة، ولكن الي الان لم تتصدى أي دراسة

لتحليل واقع الليبيين عشية اعلان الاستقلال، وبحكم أن ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية، كانت بلداً أنهكته الحرب، حين كانت رقعته الجغرافية ميداناً من ميادينها، وقبل ذلك خاض الليبيون تاريخاً طويلاً من النضال في مقارعة الاستعمار الإيطالي، وبلاشك تركت هذه الحروب ذكرياتها المؤلمة في وجدان الليبيين، في وقتٍ أنقسم فيه الليبيون إلى قسمين: قسم ناوئ المستعمر وقاومه، وقسم أخر أنحاز إاليه ، وكان من نتيجة هذا الانقسام أن تعددت مواقف الليبيين، واختلفت في الفترة التي سبقت ولادة الدولة، لإن الأحقاد التاريخية بينهم ساهمت في إذكاء الصراع والخلافات.

مشكلة البحث:

ستحاول هذه الورقة ، تناول واقع الليبيين عشية الاستقلال، كيف كانت توجهاتهم واختلافاتهم، ما الذي استند عليه الليبيون من أفكار ومحددات قبل اعلان دولتهم ، واي دولة كانوا يريدون؟ وما هوية واقع الهوية الليبية آنذاك؟ وهل كان هناك شي يمكن تسميته بـ (هوية وطنية ليبية)؟ وكيف لعبت الذاكرة المجتمعية وما احتوت عليه من ذخيرة دامية، دورها في تشكيل هذا الواقع، وكيف تعامل الليبيون معها ونجحوا في تجاوز مخاطرها ؟ .

كل هذه الأسئلة المهمة ليس من المنطقي الإجابة عليها في ورقة بحثية مختصرة تستهدف تسليط ضوء صغير علي لحظة محددة من التاريخ، لكن الطموح الأساسي لهذه الورقة هو تبيان حضور الهوية الليبية في تلك اللحظة الفارقة، وفاعلية هذا الحضور في فرض ظهور الدولة الجديدة، وفي المقام الثاني التعرض لتعامل الليبيين مع ذاكرتهم التاريخية بوعي في لحظة فارقة من لحظات التاريخ الليبي الحديث .

أولا : أنساق الهوية :

هناك خطان لتشكيل الهوية: اما على النموذج الأمريكي حيث تتشكل الهوية بتأثير المؤسسات الدستورية والديمقراطية، واما علي النموذج الأوروبي الذي تتشكل الهوية في مجتمعاته بأقامة مجتمع يرتبط افراده بتاريخ وثقافة مشتركتين، وبناء علي هذا فليبيا كانت دولة محظوظة: حيث ارتبط سكانها بتاريخ وثقافة مشتركة، ولغة واحدة ومذهب ديني يكاد يكون واحدا، وبالإضافة الى رقعة جغرافية تاريخية شهدت امتدادات ديموغرافية راسخة، فرغم غياب الدولة القطرية بمفهومها الحديث المعروف في أيامنا هذه، وحضور واضح للتقسيم الإقليمي جغرافيا واجتماعيا، الا ان النظر الى هذا الفضاء كونه فضاءً واحداً، كانت فكرة حاضرة، وهذا كان اهم روافد حضور الهوية الوطنية الليبية التي نعنيها في هذا الجزء من الورقة.

من اللحظات الحاسمة في تاريخ ليبيا والتي اهملها كتاب التاريخ والباحثين في حركة المجتمع الليبي هي: **توافق الليبيين حول رفض الاحتلال والتدخل الأجنبي، وسعيهم الحثيث بكل الوسائل لانهائه والحصول علي الاستقلال وتكوين الدولة . الامة**، كان هذا النسق الهوياتي مستعينا بحالة مثالية من الولاء الوطني، ويستقي فاعليته من المقومات التي ذكرناها انفاً، بحيث كان موقفا واضحا وجليا لا تخطئه العين، توحد فيه كل الليبيين رغم التباينات وشقات الخلاف بينهم . وبلاشك فأن توضيح هذه اللحظة والتركيز عليها يتطلب منهجا مغايرا، غير ذلك المنهج الذي اهتم فقط بالتركيز علي الخلافات بين الليبيين، او بمراكمة التفاصيل والمعلومات التي تشلّ الرؤية للهذا النسق من سياقات اكثر شمولا .

لقد كانت لحظة الاستقلال ، لحظة وعي جديرة بالتوقف عندها، عندما ترفع الليبيون عن خلافاتهم وحددوا هدفهم (الدولة . الامة) والتفوا حول قيادة رأوا فيها الإخلاص والنضال (ادريس السنوسي) وهذه الحالة هي التي انهت الكثير من الخلافات والتجاذبات بين الزعماء السياسيين الليبيين ، وساهم أيضا في توسع انتشار وتأثير شخصيات تبنت هذا الموقف الهوياتي، وانحسار وتراجع مكانة وتأثير شخصيات وجماعات أخرى ، لم تتفاعل مع هذا النسق الشعبي الواضح ، فرغم حالة الاختلاف الكبيرة بين المشاريع السياسية للجماعات الليبية (م،ج،ل،ط) حيث ظهرت في ليبيا في هذه الفترة العديد من المشاريع السياسية ، البعض منها يطالب بعودة الاستعمار الإيطالي ، والبعض يطالب بالانضمام الى مصر كالحزب الطرابلسي المصري، الا ان التاريخ قد اثبت ان هذا الموقف الهوياتي كان حاسما في ان يستوعب كل التناقضات والتنوعات التي كانت حاضرة في المشهد الليبي سياسيا واجتماعيا ، وان يتوحد الليبيون وراء هدف واحد هو النضال من اجل الحصول على الاستقلال على الرغم من ان الهوية الليبية . في ذلك الوقت . كانت مضطربة وتعاني من معضلات عدة ، حيث كانت تتنافس فيها العديد من التعريفات الوطنية والاثنية والإقليمية والقومية .

وبحكم ان مفهوم الهوية (قومية كانت ام وطينة) كان مصطلحا يشير الى معارضة الاستعمار الاوروربي ويشير ضمنا الى ولاءات مختلفة مثل الامة الإسلامية والعالم العربي او الدولة القطرية، فأن ذلك كان من مقومات حضور النسق الهوياتي الرافض للاحتلال والتدخل الأجنبي والمتطلع للحرية والاستقلال ، وشكل نوعا من الحماية للوطن والدين .

لقد كان للإرث التاريخي او ما يمكننا ان نسميه التجربة النضالية الليبية دورا مهما في انتاج هذا النسق الهوياتي، فلحظة الاستقلال كانت لحظة تراكمت فيها الخبرة السياسية والتجربة النضالية المريرة لليبيين، فقد استوعبت القيادات السياسية بمختلف توجهاتها التجارب السابقة: تجربة الجمهورية الطرابلسية ومن بعدها تجربة امارة برقة 1917 ومالحقهما من احداث تسببت في تشتت الحركة الوطنية المقاومة للاستعمار الإيطالي وما ألأت اليه من نتائج وخيمة، هذه التجارب وضعت الليبيين امام حقيقة ان العمل السياسي المشتت لم يفض الى نتيجة ، سوى المزيد من الشقاق والتشرذم، وان اللحظة التاريخية تتطلب تنظيم الصفوف وتوحيد المشاريع نحو هدف وحيد: هو الاستقلال وبناء الامة . يقول ادريان بيلت : في اللحظة التي بدأت الأمم المتحدة عملها في البلاد، لم يكن لدى ليبيا زعيما مقبولا على المستوى الوطني، ولا حزب او صحيفة على المستوى الوطني ولا مؤسسة على المستوي الوطني، وتمثلت العوامل الموحدة الوحيدة في اللغة والثقافة والدين المشترك، تلك الأساسيات التي يتجذر فيها بعمق الإحساس العربي بالوحدة الذي يتجاوز، على الرغم من الانقسامات المتعددة والعميقة أحيانا، حدود كل الأراضي العربية (بيلت، 2020)

قد اذهب الى محاولة تفسير هذا الموقف الهوياتي مستعينا بما تحدثت عنه ليزا اندرسون عن دور **الدين والتاريخ** في تأطير الهوية الوطنية الليبية(,(Anderson, Jan., 1986) ، فلا يمكن اهمال دور الدين والمشاعر الدينية في العقلية الليبية وحركة المجتمع ، منذ المقاومة المبكرة للاستعمار الايطالي مرورا بسنوات الفقر وعدم القدرة على الحلم، لقد كان الدين هو المصدر الرئيسي للشرعية السياسية في ليبيا ، وهو الذي جعلهم يقبلون بالحكم العثماني حكما شرعيا رغم مالاقوه من ويلات وعسف من الولاة العثمانيين ، لان حكم العثمانيين للبلاد كان تحت لواء (خليفة المسلمين).

كان للحوادث الكبيرة التي عاشتها البلاد خلال القرن العشرين مساهمة كبيرة في ارتباط اغلب حركة المجتمع والسياسات بالعامل الديني ، فحتى صعود السيد ادريس السنوسي وقيادته لمسيرة الاستقلال كانت تتكأ على قاعدة دينية في المقام الأول ، رغم ماللرجل من مسيرة نضالية حافلة فقد كان ادريس السنوسي زعيما دينيا قبل ان يكون زعيما سياسيا ، فهو زعيم الدعوة السنوسية . الحركة الأكثر انتشارا وتأثيرا . في كل ارجاء ليبيا وهذا ساهم بشكل كبير في قبوله لدى الكثير من الليبيين ، ولم يقتصر الدور الديني في انتاج زعامة ادريس السنوسي فقط ، بل كان له الفضل في ارتقاء زعامات سياسية ذات مرجعية دينية في طرابلس وفزان ، ومثال ذلك : عندما تشكلت الجبهة الوطنية المتحدة وهي الجبهة التي شكلها زعماء طرابلس لمواجهة مشروع بيفن سفورزا وخطر التقسيم وتأخير الاستقلال ، اختير لقيادتها مفتي طرابلس الشيخ محمد

ابوالاسعاد العالم (عبدالكريم، 2003) ، لما كان له من تأثير وقبول كبيرين في مدينة طرابلس والمناطق المحيطة بها.

يضاف الى ذلك : انه لم يكن هناك زخم كبير للتأثير الأوروبي المباشر على الليبيين ، لان طبيعة الانسان الليبية هي طبيعة تقليدية محافظة على ذاتها وخصوصياتها امام اي ثقافة وافدة ، فمثلا رفع الايطاليون مبدأ تحضير الليبيين، وهو يعني تمدينهم وتطوير اسلوب معيشتهم ، ظل هذا المبدأ عند اغلب الليبيين مرادفا لمفهوم : الطلينة ، ولهذا واجهات سياسيات الايطاليين هذه مقاومة كبيرة ، وكذلك الحال مع السياسة المتعلقة بالجنسية الايطالية وسياسة التعليم ،و هما اكثر انماط السياسة التي واجهها الليبيون بكل عنفوان وقوة ، نظرا لانهما يتعلقان بتقويض منظومة الذات التي حافظ الليبيون عليها منذ الاف السنين ، وحتى القلة القليلة التي انخرطت في المنظومة الاستعمارية واستفادت من خدماتها ، كانت حذرة ومتخوفة ومتعلقة بتقاليدها وخصوصيتها : كتب احد هؤلاء في صحيفة اللواء الطرابلسي قائلا : هل للقائمين بتمديننا وتعليمنا ان يرسلوا ضوء هدايتهم امام ابصار ابنائنا بتعليمهم وفقا لخصائصنا القومية والدينية ؟ (اللواء، 1919) وبلاشك ان هذه الروح المحافظة قد استمرت في السنوات اللاحقة ، على نفس الوتيرة : وهي رفض الأجنبي .

من الجدير بالإشارة : ان من مظاهر هذا النسق الهوياتي ان الساسة الليبيين والمثقفين والمحاربين القدماء قد بدأوا في قبول اسم ليبيا الذي كان مرفوضا في فترات سابقة ، وصار يستخدم بتوسع ودون وجل في ادبيات العمل الوطني في كل المناطق الليبية ، صحيح ان ذكر الأقاليم يرد بأستمرار لكن عندما يتم الحديث عن الهدف الابعد كان يتم الحديث عن ليبيا ، ولعل هذا يعد مؤشرا على انهم يعلمون انهم امام تاطير واقع هوياتي أوسع من الأطر السابقة التي حددتها الأقاليم التاريخية

ساهم أيضا في بناء هذا النسق : **المثقفون المهاجرين** الذين عاشوا في المنفي وتشربوا القيم الدينية وبذلوا عمرا طويلا في النضال السياسي أمثال عمر شنيب وبشير السعداوي و جمعية عمر المختار، وغيرهم حين لعبوا دورا كبيرا في تعزيز الأفكار الوطنية واستفادوا كثيرا من الصحوة التحررية التي كانت تنشط في بلاد الشام ومصر والأفكار التحررية التي كانت تنتشر بعد الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من تطور للهويات الإقليمية ، يقول ادريان بيلت عن ذلك : لحسن الحظ ... برز ثلة من الليبيين الذين مكنتهم خبرتهم السياسية ورؤيتهم من النظر الى مشاكل بلادهم بصفاء ذهن ضمن سياقاتها الداخلية والخارجية (بيلت،

2020، صفحة 349348)، وكان من بين هؤلاء ابرز الشخصيات التي قادت العمل السياسي نحو تحقيق الاستقلال .

هذا الموقف لم يقتصر على الشخصيات المناضلة العائدة من المهجر ، بل كان واضحا حتي لدى من تعاملوا مع الاستعمار الإيطالي ، والامثلة على ذلك كثيرة ، فقد اتخذ الكثير منهم موقفا قويا مع الاستقلال والتحرر ، رغم ما كان يتهددهم من خطر بسبب تاريخهم السياسي والمهني ، الا ان الكثير منهم التحقوا بالعمل الوطني ، واستطاعوا بما كانوا يملكونه من خبرة مهنية وتأثير اجتماعي من تقديم خدمات كبيرة في مسيرة الاستقلال ، كان هذا الموقف واضحا لدي شخصيات طرابلسية مهمة أمثال سالم المنتصر رئيس حزب الاستقلال ومحمد ابوالاسعاد العالم مفتى طرابلس (مجيد خدوري، 1966)، ويذكر لمدير منطقة البيضاء في عهد الإدارة البريطانية حسين طاهر موقفا يعبر بجلاء عن الروح الوطنية المتأهبة للبذل والعطاء لاجل الوطن : فقد كان الرجل احد موظفي الحقبة الإيطالية المهمين ، ولكنه لم يكن بعيدا عن حلقات العمل الوطني ، وخلال فترة النضال من اجل الاستقلال كان طاهر يشغل منصب مدير منطقة البيضاء في الإدارة العسكرية البريطانية ، وكان الأمير ادريس في زيارة الى برقة في عام (خدوري)1946، وانعقد في الوقت نفسه مؤتمر لوزراء خارجية الدول الأربع لبحث مصير المستعمرات الإيطالية وتقرر خلاله تأجيل البت في قضية ليبيا (الشنيطي، 1951) ، فعاد الأمير الى مصر لبحث الموقف مع السلطات البريطانية ، وهنا بادر حسين طاهر بالدعوة لعقد اجتماع لشيوخ قبائل السعادي والمرابطين في بيته في البيضاء ، وقام هو نفسه بتحرير الدعوات وارسلت باسم مشايخ الحرابي (بوشديق مازق . بكار بوعقيلة . ابوبكر بالذان) (وثيقة، رسالة من بوشديق مازق وابوبكر بالذان الى محمد دلاف) وبحكم انه كان موظفا في الإدارة العسكرية فوجود اسمه يعرضه للمسألة والعقاب ، ولكن الاجتماع عقد في بيته في البيضاء (الفضيل أ.، 2018) وتمخض عن بيان مهم وشديد اللهجة تم توجيهه الى سلطات الإدارة العسكرية البريطانية في برقة في 26 يوليو 1946 وطالبها بالاعتراف بالاستقلال فورا وتسليم الإدارة لسلطة وطنية (وثيقة، بيان أجتماع قبائل السعادي بالزاوية البيضاء ، 21 يوليو ، 1946) ، ولكن السلطات البريطانية ردت على البيان ووصفته بانه بيان غير متزن لانه لم يتضمن شيئا عن الطريقة التي تحافظ بها برقة على استقلالها ، في غمز على ان استمرارية الاحتلال هي الكفيلة بأستقرار البلاد.

لعبت **الصحافة** دورا مهما في تدعيم هذا النسق ، فرغم انعدام المواصلات بين الأقاليم الليبية، وصعوبة التواصل بين أبناء الشعب ، قامت الصحافة الوطنية بدور كبير في طرح الأفكار ومناقشة المشاريع

المختلفة، وكان لذلك دور كبير في فهم الليبيون لبعضهم البعض ، وتجسير شقة الخلاف بينهم، والحقيقة ان مهمة الصحافة الوطنية في تلك الأيام كانت مهمة صعبة للغاية، في ظل تفشي الجهل والامية بين طبقات الشعب ، وصعوبة الوصول الي كل المناطق الليبية ، والاهم من ذلك انها وجدت نفسها في مواجهة مؤسسات صحفية عريقة لها مشاريعها السياسية التي تتعارض مع المشروع الوطني ، فالصحافة المصرية التي كانت تؤثر بشكل كبير في الأوساط العربية آنذاك وتصل مطبوعاتها بأنتظام الي المناطق الليبية ، كانت تتبنى موقفا يتعارض مع الكثير من القيادات والجماعات السياسية الليبية، بل ولعبت بعض الصحف أدوارا خطيرة في بث الفرقة بين الليبيين ، هذا يعود الى ان مصر كان لها موقف من قضية ليبيا يتعلق بالمطالبة ببعض المناطق الليبية مثل واحة الجغبوب ومرسى البردي ، وطالبت في بعض الفترات باسناد الوصايا علي ليبيا لها (عامر، د.ت) ، ولا ننسى الدور المؤثر لعبدالرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية وما كان يصدره من بيانات ومواقف تتناولها الصحف المصرية بالنشر والاعلان.

في المقابل لعبت الصحافة الإيطالية دورا اخر لخدمة سياسة إيطاليا ومطامعها بالعودة الي مستعمرتها السابقة ليبيا ، فبالاضافة الى الصحف الإيطالية المعروفة التي كانت تصدر في إيطاليا، كان يوجد في ليبيا جالية إيطالية كبيرة بلغت اكثر من 45 الف مستوطن ، وهي جالية كانت تتحكم في الاقتصاد في إقليم طرابلس بما تمتلكه من مصانع ومزارع ومشاريع اقتصادية أخرى ، وكان لها العديد من الصحف التي تصدر في طرابلس باللغتين الإيطالية والعربية (بوكا، 1998) ، وكان معروفا ان هذه الجالية كانت تطالب بعودة طرابلس الي الحكم الإيطالي الاستعماري(J. W., 1969) ، وحاولت هذه الجالية استغلال الخلافات بين الجماعات السياسية في إقليم طرابلس، وحاولت استمالة البعض منهم لصالح العودة الإيطالية الى ليبيا ، لكن جهودها ذهبت ادراج الرياح، فرغم كل هذه الخلافات بين الليبيين ، لم يكن بينهم من يقبل بالعودة الى الاستعمار من جديد (و.م.ج.ط) ، بل كان الجميع يؤمن بالعمل من اجل الاستقلال وبناء (الدولة . الامة) .

في برقة لعبت صحيفة الوطن التي كانت لسان حالة جمعية عمر المختار، دورا مهما في بناء الوعي الوطني وان كان تأثيرها ظل محدودا في الحواضر المدنية خاصة في بنغازي ودرنة ، حيث دأب كتاب الصحيفة على انتقاد إجراءات الإدارة البريطانية الحاكمة في الإقليم ، فمثلا كانت تطالب بالتعجيل بأجراءات الاستقلال و بوجوب الاعتراف بالامارة السنوسية والوحدة الوطنية (الوطن، 1947) حتى أوقفتها السلطات البريطانية في سبتمبر 1946 بحجة انها تثير الرأي العام ، ومعروف عن جمعية عمر المختار انها ايدت

الشكل الاتحادي للدولة لاعتقاد أعضائها انه افضل شكل للمحافظة على الوحدة وكان نقطة التقاء مهمة مع الجبهة الوطنية البرقاوية (المؤتمر الوطني البرقاوي فيما بعد) التنظيم الأكثر انتشارا وتأثيرا في برقة آنذاك (الجاضرة، 1983).

ومن المواقف التي عززت هذا النسق ، وساهمت في تقريب وجهات النظر والتفاهم ، انه عندما تم اعلان استقلال برقة قام المؤتمر الوطني البرقاوي بأرسال برقية بأمر ادريس السنوسي الى الجماعات الطرابلسية السياسية تفيد بأن الأمير مازال يعمل من اجل الوحدة والاستقلال وان استقلال برقة لن يكون نهاية النضال الوطني ، وفي المقابل بعثت الجبهة الوطنية المتحدة بوفد لتهنئة الأمير باستقلال برقة وطلب تاييده لتحقيق الوحدة بين الولايتين (خدوري، صفحة 44) ، ما يعني ان الليبيون رغم ما مر بهم من خلافات وتنازعات ، كانوا في مستوى اللحظة التاريخية ، فقبلت برقة ان تواصل النضال من اجل طرابلس ، وقبلت طرابلس الامارة السنوسية لانها كانت تعي أهمية توحيد القيادة والهدف لاجل كل ليبيا.

كبح جماح الذاكرة الاجتماعية (رؤية متقدمة للتحرر من قيد التاريخ) :

النسق الثاني الذي تقدمه هذه الدراسة هو الذاكرة الاجتماعية : حيث ان الذاكرة هي تاريخ اي جماعة، وهي الوعاء الذي يجمع التعابير المتراكمة عبر التاريخ الطويل ، وهي ايضاً الممثل لوجدان كيان الجماعة (Lavabre, 2000)، وحيث ان الشخصية الليبية هي شخصية لمجتمع تقليدي، تعتمد أساسا على التراث الشفوي زادا ثقافيا لها وهذا التراث تتناقله الأجيال بشكل شفوي. ومع هذا التراث يتوارث المجتمع صراعاته واحقاده وثاراته وتعيشها أجيال لم يعيشوها، وحين تعمد جماعة من جماعات المجتمع الى احتكار الذاكرة ووضعها تحت نفوذ ملكيتها الخاصة، عندما يحدث هذا في أمة تتألف من جماعات ثقافية مختلفة ،هذا يعني ان الجماعات الاخرى ستقابل هذا الاجراء بردة فعل عكسية ، ، تحاول من خلالها كل جماعة اثبات هويتها وكينونتها ، وتقاوم هذه الهيمنة الثقافية التي فرضها (المتغلب) .

هذه الذاكرة أدت دورا سلبيا في اغلب مراحل التاريخ الليبي ، فلم يكن مستغرباً ان تتعدد ردود فعل المجتمع الليبي تجاه الغزو الايطالي للبلاد ، ولم يكن مستغربا ايضا الاختلافات الكبيرة التي رافقت ولادة دولة الاستقلال فيما بعد ، لقد عبأ هذا التراث، الأحقاد التاريخية بين الجماعات الليبية وساهم في اذكاء الصراع واشعال الاقتتال، لان التاريخ الوطني كان عبارة عن مجموع من التواريخ المتناقضة.

لقد كانت البلاد بمناطقها الثلاث تعيش تحت حكم اجنبي ولم تكن تمتلك مؤسسات رسمية علمية او ثقافية يمكنها طرح مشروع وطني يحد من سطوة هذه الذاكرة الموقوتة، ولان الخطأ التاريخي عامل أساسي في خلق الامة (Renan, 1990) ، فقد تفطن ادريس السنوسي الى ان الاقدام على فتح الذاكرة الجماعية المثقلة بالجراح مجازفة غير محسوبة العواقب واختار ان يقدّم قيمة التعايش والتوافق على قيمة الحقيقة التاريخية، و ان التذكر الكثير يخلف المرارة وتحقيق السلام يعني النسيان ولتحقيق المصالحة من الضروري ان تكون الذاكرة ناقصة ومحدودة (كانت تلك اللحظة فرصة لانتاج ذاكرة وطنية رسمية متنوعة) ليس بقوة الترهيب المكشوف او بقوة القانون ، ولكن بالوعي بقيمة النسيان واهميته للمصلحة الوطنية .

حتحات علي مافات : لم تكن مجرد مثل قيل في مناسبة محددة لوقت محدد ، لقد كانت شعارا سياسيا واعيا بأهمية اللحظة التاريخية التي تتطلب نسيان الماضي وجراحاته والالتفاف حول القضية الوطنية.

حتحات علي ما فات : كانت رؤية متقدمة لإزالة الموروث الذهني والتحذير من إعادة انتاجه، حين إستشعر ادريس السنوسي ان الوعي المثالي للتاريخ يكمن في ترتيب الماضي بما يعيد الثقة للمجتمع في تاريخه ومشتركاته ، لتصبح الذاكرة اشبه بتنظيم النسيان، وليست قطعا للجسور بين الماضي والحاضر.

حتحات علي مافات : كان اجتهادا سياسيا للنسيان ضمن صيرورة تشكل الامة، وكان ميثاق الحرابي الذي حرر في درنة بتوجيه من ادريس السنوسي مثالا حقيقيا على تقديم قيم التعايش والتسامح (وثيقة، ميثاق الحرابي)، وقد أحتوى هذا الميثاق علي البنود التالية :

- إقرار الميثاق الوطني الذي أبرمته الهيئة التأسيسية بمدينة بنغازي موافقة الوفد الدرناوي بالنيابة عن ليبيا الشرقية .

- عملاً بنداء الأمير المعظم السيد محمد ادريس المهدي السنوسي نتعهد جميعنا بإيقاف كل خصومة وكل نزاع مهما كان نوعه فيما بيننا فلا نسمح بإثارة فتنة قديمة أو جديدة ولا نسمح بالمطالبة بحق قديم سواءً كان ثأراً او دية قتل أو أو دية جرح ، أو حقاً عقارياً أو غير ذلك ، رغبة منا في جمع الكلمة وتأليف القلوب وتوحيد المجهودات وتوجيهها متظافرة متحدة إلى قضية البلاد السياسية وحدها حتي يتقرر مصير البلاد وتؤسس فيها حكومة وطنية وتنظم امورها وتستقر احوالها.

- عندئذ فقط يجوز لكل صاحب حق مشروع ان يطالب بحقه بالوسائل المشروعة وبواسطة حكومة البلاد الشرعية .

ـ ليس معنى هذا التعهد اننا ندعو أصحاب الحقوق الى التنازل عن حقوقهم ، ولكننا نطالبهم بإيقاف المطالبة بها مؤقتاً ليتفرغوا للمطالبة بحق الامة العام الذي له من الأهمية الكبرى ما يجعله أحق بالتقديم على حقوق الافراد والعائلات والقبائل .

ـ كل من يخالف هذا التعهد يعتبر معرقلاً لمساعي الامة ومثبطاً لجهادها الذي نرجو ان يكلل بالنجاح التام في إحراز الحرية والاستقلال إن شاء الله .

خـــــاتمـــــــــة

قبل ان تتاح للولايات الشقيقات الثلاث (طرابلس ـ برقة ، فزان) أن تتوحد وتنال إستقلالها، كانت قد مرت عليها تجارب قاسية ومريرة، قاست فيها الفرقة والتشتت ولعل هذه التجارب أنجزت ما يمكن أن نسميه الفرصة التاريخية للبناء الاول للدولة.

وبعد : فأن هذه اللحظة التاريخية المثيرة في تاريخ ليبيا ، عندما صعدت أهمية الهوية الوطنية وطغت على كل المشاريع الداخلية والخارجية ، وكانت مشتركا التقت فيه كل التوجهات والأفكار نحو بناء (الدولة ـ الامة) استطاع من خلاله الليبيون ان يحققوا ذاتهم وينتزعوا استقلالهم، في دولة وصفها تقرير الأمم المتحدة بأنها مجرد صندوق من الرمال بنيت اضلاعه على الجهل والمرض والموت ، هل استمرت هذه الهوية الصاعدة على نفس الوتيرة ؟

الحقيقة ان النظام الملكي لم ينجح في حل معضلات الهوية والولاء ، التي واجهت ليبيا ابان فترة نضالها ضد الاستعمار ، ولم يتم استثمار تلك اللحظة المهمة في تعزيز (هوية وطنية جامعة) بل عادت حال الفراغ الهوياتي من جديد ، بسبب عدم طرح المشاريع الفكرية التي ترسخ هذه الهوية، وأهمل العمل على القواسم المشتركة التي كانت روافدا فكرية لهذه الهوية : مثل اللغة والتاريخ المشترك والرقعة الجغرافية الواحدة والعادات والتقاليد الواحدة .

بعد الاستقلال لم يكن هناك نخبة حقيقية يمكن ان تساهم في الالهام الوطني او تحاول ترسيخ مبادي للهوية الوطنية وحتى القادة القلائل الذين عادوا الى البلاد من المنفى كانوا في كثير من الأحيان موالين لهوياتهم الإقليمية اكثر من ولائهم للدولة الليبية بعد الاستنقلال ، ولهذا عاشت ليبيا نوعا من ضعف الهويات البديلة ، التي لا تملك مقومات للبقاء ، وبمعنى اخر عاشت البلاد فراغاً هوياتيا ، تزامن ذلك مع تنامي التعاطف مع شعارات القومية العربية التي كان محركها ومشروعها هو الاعجاب بجمال عبدالناصر والكره

للملك والنظام الملكي لكونه يمثل الرجعية ، ودخلت معضلة الهوية في حالة من الاغتراب ، حين اقتحمت هوية قومية فضفاضة ، تتجاوز شعاراتها ونطاقاتها، شعب ليبيا الصغير.

قائمة المصادر:

- Anderson, L. ((Jan., 1986),). Religion and State In Libya, The Politics of Identity,, Vol. 483, Religion and the State: The Struggle for Legitimacy and Power . *The Annals of the American Academy of Political and Social Science*, 61-72..
- J. W. (1969). *Nation of the Modern World, Libya.* London: Ernest Benn Limited.
- , و. ا .(n.d.). *أهداف حزب الاتحاد المصري الطرابلسي ، ملف سالم بوخشيم ، وثيقة رقم 22* .طرابلس.
- Lavabre. (2000). Usages et mésusages de la nation de mémoire Critique internationale, Vol 7, n° 1, 2000, p.48.. *Critique international, 7*, 48.
- Renan, E. (1990). what's a nation. In *Honri Bhabba(ed) nation and Narration (* (p. 16). New York.
- ادريان بيلت. (2020). *استقلال ليبيا والامم المتحدة ، حالة تفكيك ممهنج للإستعمار :ترجمة زاهي المغيربي.* تونس : مجمع ليبيا للدراسات المتقدمة.
- الفضيل. (بلا تاريخ). *ادريس الفضيل : حسين طاهر ، الوطني والسياسي . سيرة وتاريخ.*
- الجاضرة, س .(1983) .الجماعات السياسية الليبية (1943 . 1951) أصولها التاريخية ومواقفها السياسية وممارساتها التوفيقية.44 .
- الشنيطي, م : .(1951) .قضية *ليبيا* ، .القاهرة, مصر: مكتبة النهضة المصرية.
- اللواء. (1919). *صحيفة اللواء الطرابلسي*، 2.
- اللواء الطرابلسي . (20 نوفمبر, 1919). صفحة 2.
- الوطن, ص ,(1947) .يوليو 4 .(.بنغازي, ليبيا: جمعية عمر المختار.
- انجيلو ديل بوكا. (1998). *الايطاليون في ليبيا* . (محمود الديب، المترجمون) طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
- جلال عامر. (د.ت). *الوفد المصري 1951.19* . الاسكندرية: المكتب الجامعي.
- خدوري, م.(n.d.) .
- خدوري, م .(1966) .ليبيا الحديثة، دراسة في تطورها السياسي .دار الثقافة . بيروت.
- صالح عثمان عبدالكريم. (2 يناير, 2003). موقف الجامعة العربية من القضية الليبية (1945.1951). بنغازي: جامعة قاريونس . كلية الاداب . ماجستير غير منشورة .
- صحيفة اللواء الطرابلسي. (بلا تاريخ).
- صحيفة اللواء الطرابلسي ، بتاريخ 20/11/1919. (1919). 2.
- م،ج،ل،ط .(n.d.) .*أهداف حزب الاتحاد المصري الطرابلسي ، ملف سالم بوخشيم ، وثيقة رقم 22* .طرابلس.
- مجيد خدوري. (بلا تاريخ).
- مجيد خدوري. (بلا تاريخ).

- مجيد خدوري .(1966) .*ليبيا الحديثة ، دراسة في تطورها السياسي*) .ن. زيادة (.Trans ,بيروت: دار الثقافة.
- و.م.ج.ط .(.n.d) .*الكتلة الوطنية الحرة ، رد على مزاعم جريدة الاستعلامات ، ملف الفقية حسن ، وثيقة رقم 24 .*
- وثيقة. (1946). *بيان أجتماع قبائل السعادي بالزاوية البيضاء ، 21 يوليو .* البيضاء.
- وثيقة. (بلا تاريخ). *رسالة من بوشديق مازق وابوبكر بالذان الى محمد دلاف.*
- وثيقة .(.n.d) .ميثاق الحرابي.

Identity and Memory Patterns in Libya (the Moment of Independence): An Analytical Reading

Abstract

After the Italian occupation and the departure of many national leaders, the Libyans in exile intensified their work for the freedom of their country since Italy entered the war against Britain, and they participated in military operations in World War II. After the war ended, the Libyans showed great ingenuity in exploiting the differences between countries to ensure their freedom and independence. They continued their struggle until independence was achieved for them in accordance with the decision of the United Nations in November 1949. The truth is that what distinguished the Libyans during that period was their relationship with each other and their relationship with the other, despite their great differences, we can distinguish the brilliance of the Libyans in two important issues that contributed to their strength their solidarity despite their differences, and gave them strength against all plans that were aimed at dividing Libya or returning it to the clutches of colonialism again, and here we mean: identity and memory and how the Libyans dealt with them with a responsibility commensurate with the important historical circumstance at the time.

This research attempts to discuss the dynamics of the Libyans in their dealings with these two thorny issues in one of the most critical circumstances in Libyan history, i.e., dealing with the Libyan independence incident on December 24, 1951, with a different and new point of view that goes beyond the narrative accumulation of events and tries to analyze the facts in a way that searches for the positive attitudes and phenomena that accompanied this important event in modern Libyan history.